مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

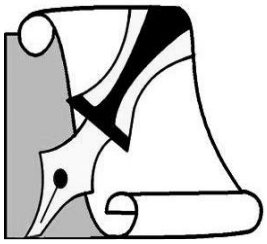

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

1 إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

أصابع الأخطبوط الاسرائيلي في السودان

1 – مدخل:

منذ اكتشاف النفط والذهب في السودان في سبعينيات القرن الماضي، كانت البلاد دائما مسرحا لشكل من أشكال الصراع، حيث أدى تنافس الأطراف المختلفة سياسيا ودينيا وعرقيا إلى اضطرابات مستمرة، مع فترات هدوء نسبي. لكن المعارك التي تشهدها السودان هذه الأيام مختلفة، حيث إنها المرة الأولى التي يجري فيها القتال في عاصمة البلاد، الخرطوم، بين طرفين ينتميان نظريا إلى الحكومة ذاتها. حيث يتصارع الجنرالان الأقوى في السودان، البرهان وحميدتي، على السلطة، بعد فترة تحالف بينهما حين تلاقت مصالحهما بعد الإطاحة بالرئيس السابق، عمر حسن البشير، عام 2019. والمشهد في السودان الان يطرح اسئلة حول وجود قوى إقليمية ودولية تدعم البرهان وحميدتي لتحقيق مصالحها الخاصة التي تتعدى حدود هذا البلد الذي يعاني من صراعات تعيق استقرار الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيه.

الفريق أول عبد الفتاح البرهان، كان قائدا للقوات البرية في عهد البشير، وصار قائدا للقوات المسلحة، ورئيسا للمجلس السيادي. والفريق أول محمد حمدان دقلو المعروف بحميدتي، أسس قوات الدعم السريع معتمدا على الميليشيات التي خاضت حربا دامية في إقليم دارفور وأصبح نائبا لرئيس المجلس السيادي.

قوة التحالف بينهما كانت ظاهرة خلال استحواذهما على السلطة في أكتوبر/تشرين الاول 2021، في خطوة وصفتها القوى المدنية بـ "الانقلاب"، إذ خرج البرهان حينها في خطاب على التلفزيون ليعلن عزل المدنيين من الحكم بدعم حميدتي. ولكن أصدقاء الأمس، كان لكل منهما "تطلعات سياسية مختلفة"، ويتمعتان بنفوذ عسكري لأكبر قوتين في البلاد. وكان أكد كل من البرهان وحميدتي التزامهما تجاه الاتفاق مع القوى السياسية، ولكن لديهما تصورات مختلفة حول كيفية تنفيذ الإصلاحات المطلوبة والتي في مقدمتها إعادة هيكلة القوات المسلحة بدمج قوات الدعم السريع التي يترأسها حميدتي ضمن الجيش.

في فجر يوم الـ 25 من أكتوبر/تشرين الاول عام 2021، أعلن البرهان حل مجلسي السيادة والوزراء والمؤسسات الانتقالية وأعلن حالة الطوارئ وتعليق العمل بمواد من الوثيقة الدستورية. وبالتالي تؤكد تحليلات المراقبين أن "نجاح العملية الانتقالية في السودان" لن تتم من دون إدارة دقيقة ومتوازنة بين "رئيس الوزراء السابق عبدالله حمدوك، واللواء عبد الفتاح البرهان، والفريق أول محمد حمدان دقلو (حميدتي)."

في كانون الثاني/يناير 2021، انضم حكام الخرطوم الجدد إلى "اتفاقات أبراهام" أو "الاتفاقيات الإبراهيمية" التي صاغتها واشنطن، وذلك بعد سلسلة من الاتصالات والمحادثات التي شاركت فيها الخرطوم وتل أبيب وجرت بوساطة أمريكية وإماراتية مكثفة. وقد بدأت تلك المحادثات تتخذ طابعاً جدياً بعد فترة وجيزة من الإطاحة بنظام الرئيس السابق عمر البشير في نيسان/أبريل من العام 2019. فقد رأى خلفاء البشير أنهم يمثلون نقيضاً صريحاً لسياساته وللقاعدة الإسلامية التي كانت تدعمه، ولهذا حرصوا على كسب ودّ أعدائه الكثيرين في المنطقة وتحقيق الاستفادة من ذلك. فالسودان الذي كان ذات مرةٍ بلداً صديقاً ومُضيفاً لحركتي حماس والجهاد الإسلامي الفلسطينيتين، وكان أيضاً معبراً مفتوحاً للأسلحة والإمدادات التي تُمرَّر إلى قطاع غزة، بات الآن حريصاً على أن يكون شريكاً في نظام إقليمي قائم في الاساس على حماية أمن إسرائيل .

2 – محطات وتقلبات السياسة الاسرائيلية:

لم يكن لقاء رئيس مجلس السيادة السوداني عبد الفتاح البرهان برئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو، في عنتيبي باوغاندا عام 2020 مجرد فقاعة في الهواء، فقد سبقته اجتماعات سابقة تعود إلى مرحلة ما قبل استقلال السودان، وحتى من داخل نظام البشير نفسه الذي كان، في الظاهر، يعلن العداء لإسرائيل. وفي هذا المجال رصدت صحيفة هآرتس الإسرائيلية في مقال مطول تاريخ المحطات الودية والعدائية بين الجانبين السوداني والاسرائيلي، قالت فيه إن حكومة نتنياهو حاولت "بهدوء أن تجعل السودان دولة سنية صديقة لإسرائيل" على حد تعبيرها، لكن هذا الأمر "لن يكون سهلا" بالنظر إلى رفض المعارضة السودانية التي اتهمت البرهان بمحاولة إقامة علاقات مع "العدو". ويرصد تقرير الصحيفة أن الفصل الأول من العلاقات بدأ خلال مرحلة ما كان يسمى "السيادة المشتركة" بين المملكة المتحدة – بريطانيا – ومصر للسودان (في الفترة من 1899 إلى 1956). ففي ذلك الوقت كان السودان يفاوض من أجل نيل استقلاله، ورئيس حزب الأمة

المعارض الصديق المهدي (خلفه ابنه الصادق المهدي بعد ذلك) كان يخشى أن يعيق الرئيس المصري عبد الناصر السودان عن نيل استقلاله، والتقى المهدي برفقة وفد يمثل الحزب "سرّا" في لندن بدبلوماسيين في السفارة الإسرائيلية للحصول على الدعم. وبعد حصول السودان على استقلاله في عام 1956، استمرت هذه اللقاءات السرية لسنوات لكن هذه المرة ليس بواسطة القنوات الدبلوماسية ولكن من خلال الموساد، ثم انتهت بشكل نهائي لسنوات سواء سرا أو علنا. وأشار التقرير كذلك إلى رجل أعمال إسرائيلي سويسري يدعى "نسيم عون" أدى دورا بارزا في تسهيل العلاقات بين إسرائيل والسودان تركزت على العلاقات الاقتصادية، قبل أن ينتهي "شهر العسل" بين الجانبين في نهاية الخمسينيات مع حدوث انقلاب وبسبب نفوذ الرئيس عبد الناصر على السودان لتحويله إلى دولة معادية لإسرائيل، حتى أن السودان أرسل وحدة عسكرية صغيرة لمساعدة مصر خلال حرب الأيام الستة عام 1967.

خلال السنوات العشر التالية، لم تكن هناك علاقات مشتركة، لكن إسرائيل انخرطت في الشأن السوداني من خلال مساعدة المعارضة في الجنوب. وقاد هذا الجهد عميل الموساد السابق ديفيد بن عوزيل الذي كان يلقب بـ"طرزان". ساهم الرجل في دعم حركة "أنيا– أنيا" الانفصالية" التي كانت تسعى للانفصال عن السودان بقيادة الجنرال الجنوبي جوزيف لاقو الذي كان قد التقى رئيسة الوزراء الإسرائيلية غولدا مائير. وانطلاقا من قواعد في أوغندا وكينيا، كان سلاح الجو الإسرائيلي يلقي الذخيرة والأسلحة لمساعدة المعارضة، التي قامت بمساعدة الموساد بتدمير الجسور على النيل وإقامة الكمائن للجنود في الجيش السوداني. وقد أدى الموساد والبحرية الإسرائيلة دورا أيضا حتى بعد انتهاء الحرب الأهلية بين الجنوب والحكومة المركزية (وقعت مع الرئيس السوداني جعفر النميري عام 1972 اتفاقية أديس أبابا التي أنهت الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب). وهذا الدور برز هذه المرة بنهاية السبعينيات من خلال تهريب اليهود الإثيوبيين (الفلاشا) الفارين من المجاعة ونظام الحكم في بلادهم إلى إسرائيل. وفي هذا المجال أدار الموساد بشكل سري منتجعا سياحيا على البحر الأحمر كان واجهة لهذه العملية واستطاع تهريب نحو 18 ألف يهودي إثيوبي إلى إسرائيل.

في عام 1981، التقى وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك آرييل شارون بالرئيس السوداني جعفر النميري في كينيا. وكان شارون يخطط بمساعدة من الملياردير السعودي عدنان خاشقجي لإرسال أسلحة إلى السودان للمساعدة في إسقاط حكم الامام الخميني في إيران وتعيين الشاه المعزول مكانه، على أن يقوم خاشقجي بتمويل هذه

الأسلحة، لكن الخطة فشلت بعد أن ألغاها الموساد الذي لم يكن على علم بها. وفي عام 1984 واصلت إسرائيل عملية تهريب اليهود الإثيوبيين وهذه المرة بمساعدة من النميري ورئيس الجهاز الأمني عمر الطيب عن طريق دفع رشى لهما مقابل أن يغضا الطرف عن العملية. هآرتس قالت إن منظمة يهودية دولية تسمى "لجنة التوزيع الأميركية المشتركة" دفعت لهما 30 مليون دولار. وكان يتم تهريب اليهود الإثيوبيين في جنح الليل من مطار الخرطوم إلى إسرائيل عن طريق شركة طيران يملكها رجل يهودي، وبمساعدة من وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية (سي آي إيه). نقلت إسرائيل في هذه العملية نحو 30 ألف شخص، لكنها أيضا ساهمت في إطاحة النميري الذي اتهم بالتعاون مع إسرائيل.

بعد وصول عمر البشير إلى السلطة عام 1989 وتأثره برجل الدين حسن الترابي تحول السودان إلى دولة عسكرية دينية. وجد زعيم تنظيم القاعدة آنذاك أسامة بن لادن السودان ملاذا آمنا له، وأقام السودان علاقات قوية مع إيران، التي استخدمت أراضي السودان لنقل الأسلحة لحماس في غزة، وهو ما أغضب إسرائيل التي ردت بتنفيذ عمليات على مستودعات السلاح على الأراضي السودانية.

لكن خلال السنوات العشر التالية تغير الوضع، فالبشير تمت ملاحقته باعتباره مجرم حرب، وتراجعت العلاقات بين البشير وإيران وهو ما "وضع بذور تجديد العلاقات مع إسرائيل" بحسب وصف هآرتس.

الصحيفة قالت أيضاً إن البشير "خان" إيران وأقام علاقة صداقة مع السعودية وأرسل الجنود لمحاربة الحوثيين في اليمن مقابل النفط والأموال من الرياض. و"مدفوعا بانفتاح سعودي على الدولة العبرية، بدأ البشير في مغازلة إسرائيل" وكان يسعى إلى أن يستخدم نتنياهو والمنظمات الإسرائيلية نفوذهم "لتطهيره من جرائمه وتحسين سمعته، مقابل إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل". وبحسب الصحيفة، بدأت بذور هذه العلاقات مع قيام رئيس الموساد يوسي كوهين ونظيره السوداني صلاح قوش في مناقشة إقامة نوع من العلاقات التجارية والدبلوماسية بين البلدين، لكن الاضطرابات الداخلية والاحتجاجات العارمة التي واجهها البشير حالت دون ذلك.

عند هذه النقطة علم الموساد أن البشير قد انتهى وأصبحت أيامه في حكم المعدودة، وبعد رحيله بالفعل، أصبحت الظروف مجدداً مهيأة لإعادة إحياء العلاقات بين الجانبين، وقالت هآرتس إنه بدعم من الرئيس الأميركي دونالد ترامب والعديد من الدول الخليجية جددت حكومة نتانياهو الجهود نحو هذا الهدف، وهنا

تلخصت المطالب الإسرائيلة بما يلي: "السماح للطائرات الإسرائيلية بالتحليق في أجواء السودان". وعلى الرغم من صعوبة المهمة بالنسبة للبرهان في الداخل، واتهام نتياهو من قبل بعض أطراف المعارضة الإسرائيلية باستخدام لقاء البرهان لخدمة مصلحته السياسية، إلا أن الصحيفة قالت إن "الجائزة الكبرى" من هذا الملف كانت " إقامة علاقات تجارية ودبلوماسية رسمية"، واعتبرت أنها "مكسب دفاعي وأمني كبير أن يقوم رئيس دولة معادية لإسرائيل علنا مثل السودان بالتحول من إيران وحماس إلى الرغبة في التصالح مع إسرائيل".

3- السودان على مشرحة التخريب:

تعتبر منطقة القرن الأفريقي من الأوليات المهمة في الاستراتيجية الاسرائيلية، وتندرج علاقات إسرائيل بجنوب السودان ضمن تلك الأولويات في العلاقات الخارجية ورؤية الأمن القومي بدوائره العالمية والإقليمية والمحلية، وتحظى هذه العلاقات بمكانة خاصة على جدول أعمال النقاش السياسي الإسرائيلي. ويعود ذلك إلى منحى إسرائيلي ثابت منذ قيام الكيان، وينسحب الأمر إلى الاستراتيجيات والدبلوماسية النشطة التي يتميز بها عصر رئيس الحكومة الحالي بنيامين نتنياهو الممتد منذ عقدين. كما أن الواقع العربي االحالي، منفتح بشكل لم يسبق له مثيل على التطبيع وعلى فتح المجالات أمام النفوذ الإسرائيلي. والسودان على هذا الصعيد، يحتل مكانة بارزة في "عقيدة شد الأطراف" الإسرائيلية التي تبلورت في الخمسينيات، وهي عبارة عن استراتيجية وضعت لمواجهة التهديد الذي كانت تمثله مصر الناصرية ومؤيدوها. وقد حدد رؤوفين شيلواح، الأب المؤسس لوكالة الاستخبارات الخارجية الإسرائيلية (الموساد)، العناصر المميزة لهذه الاستراتيجية. ووفقاً لرؤيته، فإن العرب محاصرون وسط حلقتين من التهديد: حلقة خارجية غير ودية تضم دولاً غير عربية وحلقة داخلية تتألف من أقليات دينية وإثنية متناحرة. وبحسب هذا المنطق، تتشارك إسرائيل مع هاتين المجموعتين في عدائها القديم للقومية العربية ومشروعها النهضوي. ومن بين الأقليات التي تشكل عناصر الدائرة الثانية، أعطى شيلواح الأولوية للموارنة في لبنان والدروز في سوريا والأكراد في العراق وقبائل جنوب السودان. ومع بزوغ فجر استقلال السودان في كانون الثاني/يناير من العام 1956. كانت إسرائيل تعارض احتمالية حدوث تحالف مصري سوداني تظلله راية ناصرية، ووجدت حليفاً قلِقاً مثلها يتمثل في حزب الأمة القومي برئاسة عبد الرحمن المهدي، وهو ابن الإمام المهدي، البطل السوداني المناهض للاستعمار خلال القرن التاسع عشر، ووُلِد بعد

وفاته. وكان الأنصار الأقوياء لحزب الأمة في ذلك الوقت حريصين على مقاومة تمدد النفوذ السياسي والعسكري الناصري في السودان. وبالتالي جرت، منذ العام 1954، اتصالات بين مسؤولين في حزب الأمة السوداني وبين دبلوماسيين إسرائيليين في لندن، وذكرت تقارير أن مسؤولاً سودانياً رفيعَ المستوى زار إسرائيل في أواخر آب/أغسطس 1956 لمناقشة تقديم مساعدات اقتصادية لحزب الأمة. وعلى مستوى أعلى، شهد شهر آب/أغسطس من العام 1957 لقاءاً بين رئيس الوزراء السوداني الاسبق عبد الله خليل، المنتمي إلى حزب الأمة القومي، مع وزيرة الخارجية الإسرائيلية غولدا مائير في باريس. وبموجب التفاهمات التي تم التوصل إليها في باريس، طلب رئيس الوزراء الإسرائيلي ديفيد بن غوريون من الرئيس الأميركي دوايت أيزنهاور زيادة الدعم المالي والسياسي المقدم لحكومة حزب الأمة. لكن لم تَبقَ حكومة عبدالله خليل في السلطة لتجني ثمار مناشداتها لإسرائيل والولايات المتحدة. فقد فجرت هذه القضية الأوضاع السياسية، وأدت الاحتجاجات على المعونة الأميركية المزمعة – التي نظمها كلٌّ من "الجبهة المعادية للاستعمار" الشيوعية و"الحزب الوطني الاتحادي" الموالي لمصر– إلى زعزعة استقرار حكومته. ونتيجةً لإغلاق قناة السويس، لم يتمكن السودان من تسويق محصول القطن في موسم 1957 ومُنيَ موسم 1958 بالفشل. وبعد عجزه عن حشد أغلبية حاكمة فعّالة في البرلمان، طلب خليل بجدية من جنرالات الجيش – رفاق السلاح السابقين– أن يتولوا السلطة، وهو ما قاموا به في تشرين الثاني/نوفمبر 1958.

نحَّى عبد الله خليل الديمقراطيةَ جانباً، ورحب بالانقلاب الذي أطاح به، قائلاً إن الجيش أعاق محاولة لضم السودان من قبل الرئيس المصري جمال عبد الناصر؛ لتنتهي محاولات التقرب من إسرائيل عند ذلك الحد. وفي تموز/يوليو 1958، وافق البرلمان المشاكس –الذي حاول عبدالله خليل عبثاً السيطرةَ عليه– على قانون مقاطعة إسرائيل في إطار موجة من الدعم الموجه لصالح مصر خلال العدوان الثلاثي عام 1956. وقد أُلغِي هذا النص التشريعي القصير بموجب جلسة مشتركة بين مجلس الوزراء ومجلس السيادة – الهيئة الرئاسية الجماعية في السودان– في 6 نيسان/أبريل 2021. ومن ثم مثّلت الأزمات الاقتصادية، والسعي لنيل رضا الولايات المتحدة، ومحاولات التطابق مع التحالفات الإقليمية العربية، واتباع السياسات الخارجية النفعية والانتهازية مثّلت العناصر الرئيسة لتفكير عبد الله خليل ومنطقه. وكانت هذه العناصر نفسها هي التي دعمت بالقدر نفسه قرار الشركاء في الحكومة الانتقالية السودانية بـ"تطبيع" العلاقات مع الكيان الصهيوني في إطار

"خطة السلام" التي أعدها الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب المسماة "صفقة القرن"، وهو اللقب الذي ابتكره لها رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو. ويوضح الخط الزمني للجهود الراهنة لتطبيع العلاقات بين الخرطوم وتل أبيب الرهاناتِ المطروحةَ، وفي مقدمتها سعي حكام السودان لتوفير موارد نقدية جديدة لإدارة أزمة اقتصادية قاسية في البلاد ولتحقيق الاستقرار في المجال السياسي الدائم التقلّب، سواء من خلال قوة السلاح أو المال. فقد التقى الحاكم العسكري للسودان، الفريق أول عبد الفتاح البرهان، رئيسَ الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في مدينة عنتيبي الأوغندية في الثالث من شباط/فبراير 2020. وقال القائد السوداني إن اللقاء جاء "في إطار جهود السودان نحو تحقيق مصالحه القومية والأمنية"، على حد زعمه، مؤكداً على دور تل أبيب في دعم جهود السودان للخروج من قائمة الولايات المتحدة للدول الراعية للإرهاب. وكانت الولايات المتحدة نفسها هي التي نسّقت اللقاء الذي لم يكشَف عنه سوى بعد انتهائه، بمشاركة من رعاة السودان الإقليميين: المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ومصر. وقد لقيت هذه الخطوة احتفاءاً وترحيباً من إدارة ترامب. وخلال أسابيع، صار المجال الجوي السوداني مفتوحاً أمام الطائرات الإسرائيلية.

في غضون ذلك، وافق السودان في أيار/مايو 2020 على دفع تعويضات بقيمة 335 مليون دولار أميركي لضحايا تفجيرات عام 1998 في السفارتَين الأميركيتين في العاصمتَين الكينية والتنزانية، ولضحايا تفجيرات عام 2000 التي استهدفت المدمرة الأميركية كول (U.S.S. Cole) قُبالة السواحل اليمنية؛ وقد جاءت هذه الموافقة في تسوية خارج إطار المحاكم. وقد سافر حينها وزير الخارجية الأميركي السابق مايك بومبيو إلى الخرطوم في آب/أغسطس 2020، لتسريع المحادثات حول تطبيع الروابط والعلاقات بين السودان وإسرائيل. إلا أنه فشل في إبرام صفقة في ذلك الحين، لكن المحادثات استمرت خلال شهر أيلول/سبتمبر 2020 في الإمارات العربية المتحدة. وأشارت تقارير إلى أن الحكومة السودانية طالبت بحزمة دعم اقتصادي مرنة، تشمل شحنات من النفط والقمح بقيمة 1.2 مليار دولار، ومنحة فورية بقيمة 2 مليار دولار، وتعهدات بمزيد من الدعم والمساعدات من قِبَل الولايات المتحدة والإمارات على مدار ثلاثة أعوام. وعقد وفد إسرائيلي–أميركي مشترك محادثات مع الفريق البرهان في الخرطوم في 22 تشرين الأول/أكتوبر 2020، في محاولة أخيرة للوصول إلى اتفاق. وفي اليوم التالي أعلن الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب أن السودان سيكون الدولة العربية الثالثة التي تقوم بتطبيع علاقاتها مع إسرائيل، بعد الإمارات العربية المتحدة والبحرين، كجزء مما يسمّى

"الاتفاقيات الإبراهيمية" التي رعتها إدارته. وقال مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي في يوم 25 تشرين الأول/أكتوبر 2020 إن تل أبيب سترسل كميات من القمح بقيمة 5 ملايين دولار إلى أصدقائها الجدد في الخرطوم لجعل السلام دافئاً أو بالأحرى "صالحًا للأكل". وفي 14 كانون الأول/ديسمبر 2020، ألغت الولايات المتحدة رسمياً توصيف السودان باعتباره "دولة راعية للإرهاب". وأُبرِمت صفقة التطبيع في السابع من كانون الثاني/يناير 2021 في الخرطوم بتوقيع وزير العدل السوداني، خريج هارفارد، نصر الدين عبد الباري ووزير المالية الأميركي السابق ستيفن منوشين. في المقابل، قدمت الولايات المتحدة قرضاً قصير الأجل بقيمة مليار دولار أميركي لسداد متأخّراته لدى البنك الدولي، كجزء من جهد أكبر لعلاج عبء الدين الخارجي السوداني الثقيل. بعد أيام وصل وزير الاستخبارات الإسرائيلي (الموساد) إيلي كوهين إلى الخرطوم على رأس وفد أمني لعقد لقاءات مع البرهان ومسؤولين عسكريين وأمنيين آخرين. وعرض وزير الدفاع السوداني على ضيفه تقليداً للبندقية M-16 من إنتاج مجمع اليرموك الصناعي التابع للجيش السوداني. وكان مسؤولون سودانيون قد اتهموا إسرائيل في العام 2012 بشن غارة جوية على مصنع للأسلحة أُنشِئ في 1996 بمساعدة إيرانية كما يُزعَم. ولكن بالتأكيد تغيَّر اليوم موقع السودان في إحداثيات المنطقة.

في البداية كانت هناك أسباب لافتراض وجود اختلاف في وجهات النظر بين العسكريين الذين اتخذوا قرارَ تطبيع العلاقات مع إسرائيل وشرعوا في تنفيذه وبين بعض شركائهم المدنيين في الحكومة. فقد أنكر أعضاء في الحكومة، ومن بينهم رئيس الوزراء عبد الله حمدوك، معرفتَهم السابقة برحلة البرهان إلى عنتيبي. فيما أبدَت "قوى إعلان الحرية والتغيير" – وهي تحالف من الأحزاب السياسية والنقابات المهنية التي تآلفت مع زيادة حدة حركة الاحتجاجات الشعبية ضد حكم الرئيس السابق عمر البشير– انزعاجَها من خطوة البرهان، واعتبرتها انتهاكاً للإعلان الدستوري، وهو وثيقة وُقّعت في آب/أغسطس 2019 بين "قوى إعلان الحرية والتغيير" وبين المجلس العسكري الانتقالي الذي كان قد انتزع السلطة من البشير في نيسان/أبريل 2019. كما اعتبرت ان التغيرات الجوهرية ذات الطبيعة السياسية المهمة كالعلاقة مع إسرائيل "يجب أن يقررها الشعب السوداني عبر القنوات التي تمثله"، هذا ما صرح به شركاء تحالف "قوى إعلان الحرية والتغيير" في ذلك الوقت. ومع تطور الأحداث، صار من الواضح أن اختلاف الآراء كان هامشياً ومقتصراً على أعضاء التحالف المنسلخين، الذين انفصلوا عنه لاحقاً، كالحزب الشيوعي السوداني. وأيّاً كانت هواجس أعضاء التحالف

الآخرين، فإن تلك الهواجس لم تستحق إحداث مواجهة مع الحكومة التنفيذية حول مسألة التطبيع. فقد زعم الفريق البرهان، رئيس مجلس السيادة، أن حزب الأمة السوداني بل وحزب البعث العربي الاشتراكي كانا على استعداد للقبول بتطبيع العلاقات مع إسرائيل إذا حصل القرار على غالبية الأصوات في هيئة تشريعية انتقالية غير منتخبة، يتم تعيينها من خلال اتفاق بين شركاء تحالف "قوى إعلان الحرية والتغيير" والمتمردين السابقين وغيرهم من أصحاب المصالح. وتتلخص حجة مؤيدي "السلام" مع إسرائيل في ثلاث نقاط أساسية. أُولاها أن السياسة الواقعية تُلزِم السودان بالسعي نحو تطبيع العلاقات مع إسرائيل لتلبية المطالب الأميركية وللتوافق مع خيارات الرعاة الإقليميين، كالمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة. وفي ما يتصل بهذا التفكير، قيل إن مصطلح "الصمود" هو من مخلَّفات عصر بائد تُسمع فيه جعجعة ولا يُرى طحين. فما الذي سيجنيه السودان من "المقاومة" إذا علمنا أن دول المواجهة، كمصر والأردن، بل حتى الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني (منظمة التحرير الفلسطينية)، قد وقّعت معاهداتها للسلام مع إسرائيل وجَنت ثمارها. فيما تقول النقطة الثالثة أن الفلسطينيين أنفسهم لا يستحقون التضامن. إذ ينظر الفلسطينيون إلى السودانيين باعتبارهم أدنى منهم من الناحية العرقية، فيرى البعضُ فيهم ذوي أصول أفريقية طامحِين لأن يكونوا عرباً. ويمتد هذا الانعطاف الهوياتي، بعد ذلك، للتأكيد على أن العرب السودانيين هم في نهاية المطاف آبقون حين يتعلق الأمر بادّعائهم الهوية العربية وزعمهم الالتزام السوداني بالقضية الفلسطينية، وهو انعكاس مؤسف لعقدة النقص المزمنة هذه مع سعيهم للاعتراف بهم بين أقرانهم العرب. وتقوم هذه الحجج العرقية، التي تتداولها قطاعات من المثقفين الليبراليين، جزئياً على تجارب المغتربين السودانيين في الأجواء التنافسية، التي عادة ما تكون حادة، في سوق العمل ببلدان الخليج العربية. وفي نهاية المطاف، ساد إجماع صامت في أروقة السلطة، وكان أفضل تعبير عنه هو وزير العدل السوداني نصر الدين عبد الباري، الذي هاجم منتقدي السلطة، قائلاً إن الحكومة تحظى بتأييد شعبي واسع وبدعم الجيش. وأكد عبد الباري، مستخدماً اللغة القانونية، أن الوثيقة الدستورية لا تضع قيوداً على السياسات الحكومية سوى الالتزام بمبادئ الاستقلال والمصالح القومية وتوازُن العلاقات الخارجية، ولا تمنع بحالٍ من الأحوال تطبيعَ العلاقات مع إسرائيل. وفي ضوء هذه الاشكاليات تمتعت واشنطن بحرية تقرير السياسات المتبعة في الخرطوم. وعليه، فقد لجأت الدولة الاكثر شراسة في العالم ، اميركا، إلى سياسة لَيّ الذراع في وجه واحد من أفقر البلدان لِتطويعه سياسياً، وهو

البلد المثقل بدين خارجي يبلغ حوالي 59 مليار دولار أميركي (أيّ أكثر من 190% من ناتجه المحلي الإجمالي في عام 2019) ومعدل تضخم يقدر بالمئات (حوالي 400%).

4 – دور الموساد في التخريب:

تتعامل إسرائيل مع ذاتها بمواصفات دولة عظمى، وينعكس هذا في مدى تغلغل نفوذها في السودان بجنوبه وشماله، وفي تعاطيها مع كل الأطراف المتصارعة واللعب المتزامن على تناقضاتها. فتكشف عن علاقات وثيقة مع شخصيات قيادية سودانية –منها من يتبوّأ مناصب عليا في جنوب السودان أمثال الجنرال جوزيف لاقو، وسلفا كير، ودانغ آلور، ورياك متشار، وعبد الواحد محمد نور. و في الوقت ذاته كانت لديها تفاهمات عميقة وعلاقات قوية وصفقات مع كل من جعفر النميري والبشير، اضافة الى استغلال التوتر القبلي في الجنوب وبالذات بين قبيلتي الدنكا والنوير وتسخيره لخدمة مشاريعها. وتصرفها كدولة عظمى يعني أنّها تبني خارطة مصالح وأولويات برؤية دوليّة متعددة الأطراف، لكنها تجعل كل طرف يتعاون معها على أساس ثنائي مُحدّد، لكن على اساس الهيمنة والتبعية. وفي المنظور الدولي الواسع تقوم إسرائيل بتشخيص التدخلات الدولية في أفريقيا، وتسعى إلى ملء جزء من الفراغ الذي أحدثه انهيار الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى كانت ذات نفوذ كبير في أفريقيا وهي اعتمدت محدوديّة النفوذ الروسي اليوم مقارنة بالسوفييتي في حينه. كما وتسعى إلى ضمان حُصّة لها مقابل النفوذ الصيني الكبير. والملفت أن الدول الافريقية الحليفة لإسرائيل طلبت تعزيز الروابط الثقافية معها، والارتباط بخبراتها التقنية في مجالات التنمية والأمن. وكي تتعزز هذه العلاقات ينبغي لإسرائيل ان تتمحور حول تقديم دعم فني للتنمية. وسياسة "القوة الناعمة" في العلاقات الثنائية هي المفتاح لكسب ود أفريقيا. ومن هنا استثمرت اسرائيل في افريقيا جهودا دبلوماسية وتجسسية كبيرة غير مسبوقة، كما حددت شرق أفريقيا وبالذات القرن الأفريقي كمنطقة مصالح استراتيجية عُليا لها، لا سيما ضمن حيثيات المواجهة التي أعلنتها مع ايران ومحاصصة النفوذ على أفريقيا مع روسيا والصين.

لقد تواجد الموساد الإسرائيلي فى أفريقيا وجنوب السودان منذ خمسينيات القرن الماضى، وبدأ هذا التواجد بعد قيام ثورة الضباط الاحرار بمصر في 23 يوليو/تموز 1952 التى كان من مبادئها احراز الحرية والسيادة والقضاء على الاستعمار وأعوانه. وإسرائيل بطبيعة الحال مُستعمرة استيطانية وظيفية ومُتعاونة مع الاستعمار

الأوروبى والأمريكي. ولما رأت إسرائيل أنها مجرد دويلة صغيرة فى وسط قوة عربية إسلامية كبيرة، وضعت فى اعتبارها أن تخترق هذه القوة أو تحاول أن تحيط بها أو تهاجمها من الخارج، ومن هنا كان تعاونها مع الدول الاستعمارية والولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان القاسم المشترك بينها جميعا معاداة الثورة الناصرية واتجاهاتها القومية النهضوية التي أملت أن تجعل من الشعوب العربية المشتتة قوة ذات شأن في دولة موحدة، ولذلك تعاونت سويا فى توجيه ضربة للثورة حين شنت العدوان الثلاثى على مصر عام 1956، كما شنت إسرائيل وحدها عدوان 5 يونيو/حزيران 1967.

في عام 2015 أصدر جهاز الموساد الاسرائيلي كتاباً بعنوان "مهمة الموساد في جنوب السودان" يفتخر فيه بما أسماه "الانتصار الإسرائيلي" في انفصال جنوب السودان عن دولة السودان. وتضمن الكتاب ملامح وابعاد الدور الإسرائيلي وأبرز الأدوات التي استخدمتها إسرائيل في انفصال جنوب السودان التي بدأت منذ ثلاثينيات القرن الماضي بشكل اغراءات عبر إرسال "قافلة إنسانية" شملت أدوية ومواد غذائية لتكون بداية لكسب الثقة ومعرفة طبيعة المجتمع. وسرعان ما بدأ الموساد في الستينيات بإرسال صفقات أسلحة إسرائيلية للجنوب عبر الأراضي الأوغندية ثم الإثيوبية وقامت إسرائيل بتدريب المتمردين في أوغندا وكينيا وإثيوبيا. بل أن إقامة حركة أنيانيا الانفصالية قد تمت بفضل ثلاثة ضباط من الموساد الإسرائيلي منهم إيلي كوهين المستشار السياسي للانفصاليين. ووصل الدعم إلى انتقال بعض ضباط القوات الخاصة الإسرائيلية لتدريب الانفصاليين بجنوب السودان أثناء خدمة السفير الإسرائيلي أوري لوبراني سفير إسرائيل في أوغندا وإثيوبيا. كما أنشأت إسرائيل مدرسة لتخريج الكوادر العسكرية لقيادة فصائل التمرد بل واشتركت عناصر إسرائيلية في المعارك لنقل خبراتها للجنوبين. وفي أواخر السبعينيات إلى الثمانينيات أمدت إسرائيل جون غرانغ بأسلحة متطورة بل ودربت 10 طيارين على مقاتلات خفيفة والتقطت القوات الحكومية صوراً بالاقمار الصناعية وسلمتها للإنفصاليين، بل وأرسلت بعض قادتها العسكريين لوضع خطط القتال بجوار الانفصاليين.

في أواخر التسعينيات مولت إسرائيل الانفصاليين بمبلغ 500 مليون دولار لتقوي موقفهم خلال تفاوضهم مع الحكومة المركزية الشمالية. وجاء عام 2003 لتكشف إسرائيل عن أهم أدوار يهود الفلاشا في الصراع حيث أرسلتهم كقوات محاربة بجانب زعيم الحركة الشعبية لتحرير السودان والنائب الأول السابق لرئيس الجمهورية في السودان قبل الانفصال ورئيس حكومة جنوب السودان الانفصالية الأسبق جون غارنغ مستغلة الملامح

الشكلية المتشابهة. واستخدمت قوتها الناعمة مع الولايات المتحدة لدعم الانفصاليين حيث اعلنت عن استعدادها لارسال قواتها المتواجدة في ارتريا وكينيا للتدخل في السودان لحماية الجنوبيين.

في عام 2011 أرسلت إسرائيل ممثلاً لها في مراسم استقلال جنوب السودان وكانت أول من اعترف بدولة جنوب السودان الانفصالية بعد الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. والسؤال هنا هل الدعم الإسرائيلي كان لصالح جنوب السودان والإجابة لا لأنها غذت الفرقة والانقسامات والصراعات حول الموارد بل والآن تصنف جنوب السودان الدولة الهشة رقم 3 على مستوى العالم وفقا لتقرير صندوق السلام الصادر من واشنطن عام 2019. فكان ما هدفت إليه تل أبيب هو اقتناص الجزء الأكبر من ثروات السودان، وهذا ما تم عام 2013 حين بدأت في استغلال ثروات الجنوب ونهبها عبر توقيع معاهدات مع شركات إسرائيلية في مجال البترول والاستفادة من بترول جنوب السودان. ومن هنا يتضح أن السودان وثرواته كانت وما زالت أحد أهم مآرب إسرائيل الاساسية. ذلك أن الهدف الاستراتيجي الإسرائيلي من وراء ذلك هو تقديم الدعم لمتمرّدي دارفور، كما كانت الحال مع متمرّدي الجنوب ولحُكام إثيوبيا وضلوعهم في مخطط سد النهضة الاثيوبي، من أجل انفصال دارفور أولاً، ثم تفتيت السودان وغيره من دول القارة الإفريقية التي تمثل مجتمعة العمق الاستراتيجي لمصر التي لاتريدها إسرائيل قوية مستقرة مكتفية مائياً واقتصادياً، بغضّ النظر عمن يحكمها. ومن هنا كان القرار الإسرائيلي بدعم حركات التمرّد وكان جون غارنغ صلة الوصل الرئيسة، حيث قُدم له الدعم العسكري والسياسي والاقتصادي والإعلامي، وانتشرت شبكات الموساد في شمال العراق وجنوب السودان وجمعت المعلومات عن الأوضاع العامة في كل من الحيّزين الجغرافيين، ومعلومات خاصة عن غارنغ الحاصل على درجة الماجستير من جامعة "إيفا" في الولايات المتحدة الأميركية. وقد استمر هذا الدعم الإسرائيلي بكل أنواعه في ظل الحكومات، من بيغين ورابين إلى نتنياهو 2018، كما أن ضباطاً من أصل إثيوبي يخدمون في الجيش "الإسرائيلي"، تولّوا مهمة تدريب الجيش الشعبي السوداني الانفصالي وتسليحه، ووُضعوا تحت تصرّف غارنغ ومن تلاه من حّكام تلك الجمهورية الوليدة.

إن الاختراق الإسرائيلي للسودان، جنوبه وشماله شرقه وغربه، بات واضحاً وجلياً، والحقائق بشأنه تترى، وهي تحتاج إلى مواجهة جادة، وإلى قطع الطريق أمام دعوات التطبيع التي تتزايد، والتي يقودها الموساد ويغذّيها.

لقد زرعت إسرائيل منذ الستينيات رجالاً من المخابرات الإسرائيلية (الموساد) فى الدول الأفريقية رغبة فى دخول أفريقيا، والالتفاف حول السودان واختراقه كوسيلة ضمن وسائلها لإضعاف مصر الناصرية العدو الأول لإسرائيل، على مبدأ شد الأطراف حتى يضعف القلب (مصر) فيسهل ضربه، ثم توغلت الأيادى الإسرائيلية فى أوغندا وكينيا وإثيوبيا، وهي تحالفت مع الولايات المتحدة الأمريكية، بعد اتخاذ مصر قرارا ببناء السد العالي بالتعاون مع الاتحاد السوفيتى، وليس مع الأمريكيين والكتلة الغربية، وكانت مصر قد اتخذت قرارها هذا بعد أن فشلت في الحصول على مساعدة وتمويل البنك الدولي الذى كان قد فرض شروطا قاسية، بضغط من الأمريكيين ، لكي يمنح مصر قرضا يجعل من مصر دُمية فى يد الغرب ويُركعها، كما ركّعتها الديون الخارجية فى عهد الخديوي إسماعيل، مما كان سببا فى احتلال مصر فى القرن التاسع عشر، ولكن عبدالناصر أصر على أن تظل مصر حرة مستقلة، تمد يدها لمساعدة حركات التحرر العربي والأفريقي. ثم توغل الموساد الإسرائيلي بعد ذلك فى دول منابع النيل حتى وصل إلى جنوب السودان، الذى كانت قد بدأت فيه حركة تمرد وحرب أهلية بين الجنوب والشمال 1955 . ولقد بدأت تلك العلاقات بالمساعدات الطبية، والغذائية، وقتما لجأت حركات التمرد الجنوبية إلى الغابات الأوغندية، والإثيوبية، ثم تحولت المساعدات الطبية إلى تشجيع على التمرد، فتدريب للضباط فى إسرائيل، ثم وصلت إلى المساعدات العسكرية من بنادق ورشاشات ومدفعية ثقيلة إلى عربات مصفحة ومدرعات، وكانت تذهب تلك المساعدات إلى إثيوبيا أولا ومنها إلى جنوب السودان، ولذلك أحرج جيش الحركة الشعبية بقيادة جون غارانغ جيش الحكومة المركزية فى الخرطوم، مما كان سببا فى الدخول فى المفاوضات التى انتهت بحق تقرير المصير للجنوب، وحرية انسلاخه عن الدولة الام. وللأسف غابت مصر عن الساحة الأفريقية بعد عام 1973 حين دخلت فى تفاهمات مع الغرب وإسرائيل، وعقدت معاهدة الصلح في كامب ديفيد مما أبعدها عن القارة الأفريقية بصفة عامة ومنطقة منابع النيل بصفة خاصة، بما فيها جنوب السودان، فخلا المجال للأفاعى والثعابين الاسرائيلية لكي تزحف خفية على تلك المنابع التى تمثل العمق الاستراتيجى للسودان ولمصر، وتمثل الوجود والحياة بالنسبة لهما، وبهذه الطريقة خُدرت مصر أو حُيدت أو قُيدت بسلاسل معاهدة السلام المزيف مع إسرائيل التى ذهبت لكي تخترق مصر والسودان خاصة بعد رفض مصر توصيل مياه النيل إلى صحراء النقب فى إسرائيل، وذلك عن طريق تشجيع حركات التمرد الجنوبية فى السودان، بل تخترق مصر من الداخل عن طريق تغييب الوعي

وتشويه المناهج المدرسية، حتى تنسى الأجيال الحالية والمستقبلية حقيقة أن إسرائيل دولة مجرمة ومغتصبة لأرض الشعب الفلسطينى، وهدفها لاحقاً السيطرة على البلدان العربية كافة.

5 – المخططات الاسرائيلية للمستقبل:

تأتي مخططات الخبراء والساسة ومراكز الفكر الإسرائيلية والأمريكية بشأن السودان في إطار مخططات موسومة لاستهداف كافة الدول العربية فجميعها مستهدفة عبر آلية التقسيم والتفتيت والحروب الأهلية بدعاوى حق تقرير المصير واستخدام ملف الأقليات والطوائف العرقية في هذا الخصوص. ومن أبرز تلك المخططات مخطط برنارد لويس المفكر الصهيوني مستشار الرئيس الأمريكي الاسبق بوش الأب الذي استهدف تقسيم كافة الدول العربية ومخطط عوديد يينون – الباحث الإسرائيلي– عام 1982 وكلاهما اتفقا على أن مستقبل السودان هو التقسيم بسبب ما يمتلكه من موارد طبيعية تعتبر ثروة لا تقدر بثمن فلا ننسي امتلاكه النفط والذهب والماء والتربة وما يحتويه من ثروات في باطن الارض. علاوة على موقعه الجيوستراتيجي المتميز والاهم وجود نهر النيل الذي تعتبره إسرائيل ارثا لها بحكم خرافة "أرض إسرائيل الكبرى". وقد تم اقتراح تقسيم السودان لأربعة أقسام "دولة النوبة عاصمتها أسوان، دولة السودان في الوسط، دولة دارفور، ودولة جنوب السودان". والمنطقة الوحيدة التي شهدت نجاحاً لتلك المخططات كانت عبر انفصال حكومة جنوب السودان بدعم اسرائيلي مباشر . وفي السياق أكد مستشار الأمن القومي الإسرائيلي السابق آفي ديختر من جهته أن حلفاء اسرائيل في الجنوب "يقصد جنوب السودان" قادرون على تنفيذ أجندة إسرائيل في السودان وأن قدرا كبيرا ومهما من الأهداف الإسرائيلية في السودان قد تحقق على الأقل في الجنوب. وهذه الأهداف تكتسب الآن فرص التحقيق في دارفور. كما تساءل ديختر عن الاهتمام الإسرائيلي بالسودان وإعطائه قدرا كبيرا من الأهمية ولماذا التدخل في شؤونه الداخلية في الجنوب" قبل الانفصال" وفي الغرب حاليا – دارفور تحديدا – طالما أنه، أي السودان، لا تربطه أي جغرافيا أو حدود مشتركة مع إسرائيل". وفي الإجابة على هذه الأسئلة أكد ديختر ان السودان شكل عمقا استراتيجيا لمصر وتجلى ذلك بعد حرب 1967 حيث تحول إلى قواعد تدريب وإيواء لسلاح الجو المصري والقوات البرية وأرسل قوات من جيشه إلى قناة السويس أثناء حرب الاستنزاف، وقال إن "السودان بثرواته الكثيرة وموارده الطبيعية ومساحته الشاسعة وعدد سكانه كان من الممكن أن يصبح

دولة إقليمية قوية منافسة لدول عربية رئيسة لكن السودان ونتيجة لأزمات داخلية بنيوية، خاصة الصراعات القبلية والحروب ألاهلية فى الجنوب استغرقت ثلاثة عقود، ثم الصراع فى دارفور ناهيك عن الصراعات حتى داخل الخرطوم ، تحولت إلى أزمات مزمنة. وهذه الأزمات فوتت الفرصة على تحوله إلى قوة إقليمية مؤثرة فى البيئة الأفريقية والعربية." وشدد ديختر على أنه وبعد مشاركة السودان القوية بدعم مصر خلال حرب الاستنزاف كان لابد أن تعمل إسرائيل وبجدية على إضعافه وخلق أزمات تعوق قدرته على بناء دولة قوية كبيرة وموحدة مهما كلف الأمر وهذا من ضرورات الأمن القومي الإسرائيلي.

لقد كان لقاء البرهان – رئيس المجلس السيادي الحاكم بالسودان– مع نتنياهو في فبراير/شباط 2020 بأوغندا بداية للكشف عن مرحلة جديدة من العلاقات بين السودان وإسرائيل، تلاه الإعلان عن فتح المجال الجوي السوداني للطيران الإسرائيلي للعبور، الأمر الذي كان متوقفا منذ ستينات القرن الماضي، مما دفع الكثيرين من السودانيين والفلسطينيين والعرب لانتقاد السودان ليس بسبب التقارب فقط، ولكن بسبب التوقيت بالأساس الذي تزامن مع الإعلان الأمريكي عن صفقة القرن مما جعل البعض يصف الأمر بأنه طعنة في صدر القضية الفلسطينية التي دعمها السودان دائماً في السابق. والواقع أن إسرائيل لم تكن تريد التطبيع فقط وإنما ما هو أبعد من ذلك وهو تقسيم السودان ونهب موارده الطبيعية والاستيلاء على ما تسميه اسرائيل بالتراث التاريخي اليهودي المزروع هناك. وهنا لابد من التعريج على كتاب "العودة إلى مكة" لضابط الموساد الإسرائيلي "أيفي ليبكن" الذي تحول لايديولوجية حزبه الجديد Bible Bloc والذي يهدف لهدم الكعبة المشرفة لأنها سبب تطرف المسلمين وتفكيرهم الضيق، حسب زعمه، وتضمن الكتاب إدانة للمصريين لأن القطر المصري يضم القطرين السوداني والمصري معا. علاوة على كراهية الفراعنة المصريين والسودانيين وتحميلهم عبء ما فعله فرعون في قوم موسى عليه السلام .وإسرائيل ترغب في تفتيت كل دول المنطقة العربية والاسلامية ثم الافريقية وتقسيمها لتكون دولة الاقليات الاولى والاقوى في المنطقة لتجمعهم تحت اتحاد يسمى بـ "الولايات المتحدة الإبراهيمية" كما طرحته جامعة فلوريدا عام 2015 كمدخل لاقامة اتحاد فيدرالي تحكمه إسرائيل وتركيا ويتحكمان من خلاله مركزياً في موارد المنطقة التي ستبدأ بالشرق الاوسط ثم القارة الافريقية وتتضمن الخطة النص على الموارد الابرز المستهدفة على سبيل الذكر لا الحصر "النفط– الماء– الغاز– والذهب" والمواقع الاستراتيجية. وسيكون الجميع عبيداً وخداماً لدى الصهيوني والعثماني يتحكمان في مصيرهم وأولويات حياتهم.

وعلينا أن نعي أن دعوات عودة اليهود الى السودان لا تتعلق بالسودان لوحده بل ثمة مخطط صهيوني يتم في أكثر من دولة لإثبات دعاوى زائفة للتأصيل بأن اليهود هم الشعب الأصلي هناك. ومن ثم يحق له العودة والادارة والتحكم في الموارد باعتبارهم اصحاب الحق الاصلي، كما فعلوا بفلسطين، تمهيدا لتطبيق مخطط ارض إسرائيل الكبرى والكاملة. وتتقاطع هذه الدعوات مع خطوات روجت لها وزارة الخارجية الإسرائيلية وبعض المنظمات الصهيونية العالمية أبرزها:

– رفع قضايا تعويضات على كل من مصر والسعودية وليبيا سابقا للمطالبة بحق اليهود الذين سافروا من الدول العربية بإدعاء تهجيرهم مرغمين خلافا للواقع ودورهم التخريبي في اقتصاد الدول العربية لصالح إسرائيل قبيل سفرهم طواعية وتسلمهم المقابل المادي لممتلكتهم التي باعوها.

– مشروعات لحفظ التراث اليهودي بمختلف دول العالم بما فيها العديد من الدول العربية بدعاوي توثيق ما يسمى بالتاريخ اليهودي. وحينما نتحدث عن التاريخ اليهودي ينفتح الباب أمام الكذب والادعاء وتزوير التاريخ بدعاوى زائفة.

– إصدار وزارة الخارجية الإسرائيلية خرائط جينية تدعي بأن جميعنا مسلمين ومسيحيين اصلنا يهود اي ننحدر من اصول يهودية ومن ثم فهم الشعب الاصلي فوق الجميع.

– اصدار وزارة الخارجية الإسرائيلية خرائط جغرافية توضح أماكن تواجد اليهود بدول العالم المختلفة بما فيها الدول العربية والافريقية بالاساس بحكم امتلاكها للموارد والثروات.

– استغلال المشترك الإبراهيمي كمدخل انتهازي لقبول اليهود بإعتبار الجميع أمة ابراهيمية واحدة – "بحكم أن سيدنا ابراهيم (ع) هو ابو الانبياء"– واسرة ابراهيمية واحدة فلا مجال للاختلاف حول الأرض والموارد بل والقبول بالمشترك للاندماج في اطار جغرافي واحد يحق لمن يمتلك التكنولوجيا التحكم المركزي فيها كلها بحجة ندرتها في ظل تغير المناخ والصراع حول الموارد. وهنا تأتي إسرائيل في المقدمة بحكم تقدمها التكنولوجي مقارنة بدول المنطقة وهذا ما تروج له خطة جامعة فلوريدا وجامعة هارفارد "الولايات المتحدة الأبراهيمية" و"مبادرة مسار ابراهيم."

– عقد مؤتمرات دولية ترفع شعار افريقيا اليهودية الابراهيمية كمؤتمر يناير/كانون الثاني 2019 الذي نظمته جمعية يهود السفارديم وجمعية ميمونه بالمغرب وعقد بنيويورك وتحاول التأصيل لمقولة "الشعب الاصلي

اليهودي اصل القارة الافريقية". وما من شك بان الغرض الاساسي ليس خدمة شعوب المنطقة وأنما الوصول بطرق ملتوية لمخطط ارض إسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات. وأن إسرائيل صاحبة النظرة العنصرية الاستعلائية المستمدة من مقولة "شعب الله المختار" لن تدع اي شعب اخر خلاف الشعب اليهودي يتقاسم الحياة والموارد وأنما ستوظف الجميع كعبيد وخدم لمصالحها وهذا ما صار اليه حال ووضع الفلسطينين المزري منذ عام 1948 حتى الان . وعلينا أن نتذكر وضع يهود الفلاشا الذي يقتلون بسبب لون بشرتهم حتى داخل الكيان، فهل نسينا احداث ميدان تل أبيب 2015 وحادث قتل الشاب ذي الثمانية عشرة عاماً سولمون تيكا على يد شرطي إسرائيلي خارج الخدمة بسبب العنصرية التي تجسدت في دولة بأكملها وقفت بجانب القاتل وروعت بأهل الضحية والسبب كان لون بشرة القتيل . ورغم أن الفلاشا هم يهود ولكن الصهاينة لا يعتبرونهم يهوداً مثلهم وأنما يشككون في يهوديتهم ويستخدمونهم كأدوات يستغلون ملامحهم الشكلية المشتركة مع شعوب القارة الافريقية مثلما تم في احداث انفصال جنوب السودان حيث قاتلوا مع الجنوبين. وإذا نظرنا لاوضاعهم المعيشية نجدها شديدة الهوان والسوء والسبب دائماً لون بشرتهم .

6 – إسرائيل في الاضطرابات الأخيرة:

تستغلّ الحكومة الإسرائيلية، علاقاتها مع جنرالات الجيش السوداني وقوات «الدعم السريع» لحثّهم على إنهاء القتال، بحسب ثلاثة مسؤولين إسرائيليين تحدثوا إلى موقع «واللا» العبري. وبحسب الموقع، فإن «وزارة الخارجية الإسرائيلية منخرطة في السنوات الأخيرة مع البرهان في عملية التطبيع، وأن جهاز استخبارات الموساد يتواصل مع خصمه حميدتي في قضايا الأمن ومكافحة الإرهاب». وتكمن أهمية ذلك، بحسب التقرير في «واللا»، بكون عملية التطبيع الإسرائيلية مع السودان والعلاقات التي أقامتها مع كل من قائد الجيش وقائد «الدعم السريع»، أتاحت لها «وضعاً مميزاً في محاولة التأثير على الجنرالين المتحاربين". وعبّر المسؤولون الإسرائيليون مؤخراً عن قلقهم من أن «ينهي القتال الحالي أي احتمالات لاحراز اتفاق سلام بين كيان العدو والسودان». وأشار هؤلاء إلى أن القرار الرسمي لدى الكيان، هو عدم الانحياز لأي طرف في الأزمة، وعدم التورّط في أي جهود وساطة غير الحث على وقف إطلاق النار. وبالتالي ترقب إسرائيل بصمت الاشتباكات التي يشهدها السودان والخلافات بين قائد الجيش عبد الفتاح البرهان وقائد قوات الدعم السريع محمد حمدان

دقلو (حميدتي)، في وقت تواصل فيه من وراء الكواليس الاتصال بطرفي القتال في الخرطوم، وذلك في ظل مخاوفها وهواجسها من أن يؤدي اتساع دائرة المعارك والفوضى في السودان إلى طي صفحة التطبيع بين البلدين بصورة نهائية.

قبيل الاشتباكات الأخيرة، سابقت حكومة نتنياهو الزمن بجهد حثيث من أجل التوقيع على اتفاقية تطبيع رسمية مع السودان، ومأسسة العلاقات الدبلوماسية رسميا وافتتاح سفارة في كل من تل أبيب والخرطوم. وكان وزير الخارجية الإسرائيلي إيلي كوهين قد قام في فبراير/شباط الماضي بزيارة سرية خاطفة للسودان اجتمع خلالها بالبرهان، واتفق معه على توقيع اتفاقية سلام خلال العام الحالي. وفي ظل الاشتباكات واحتدام المعارك في الخرطوم، امتنعت إسرائيل عن المناقشة والبحث بعمق في تداعيات الأحداث على مستقبل العلاقات بين البلدين، والحديث عن دور تل أبيب الخفي لاحتواء التصعيد والسعي للتوصل إلى وقف لإطلاق النار. وبعد اندلاع الاقتتال أصدرت وزارة الخارجية الإسرائيلية بيانا رسميا جاء فيه: "نحن نتابع بقلق الأحداث في السودان، وإسرائيل تريد استقرار السودان وأمنه، وتطالب جميع الأطراف بالامتناع عن العنف والعودة إلى طريق المصالحة الداخلية، لإنهاء عملية نقل السلطة بإجماع واسع."

في السياق تخشى إسرائيل من تجميد علاقات التطبيع مع السودان الذي تعده تل أبيب بوابة لها لتعزيز نفوذها وحضورها في القارة الأفريقية، حسبما أفادت صحيفة "يسرائيل هيوم". وأكدت الصحيفة، نقلا عن مصادر دبلوماسية إسرائيلية رفيعة المستوى، أن إسرائيل شريكة في جهود تهدئة الصراع العنيف الذي اندلع بين الفصيلين الحاكمين في السودان. وبالإضافة إلى ذلك، من المتوقع –وفقا لتقديرات الصحيفة– أن يتأخر التوقيع النهائي على اتفاق السلام (التطبيع) بين البلدين، وهو الأمر الذي تخشاه تل أبيب بسبب تداعيات ذلك على علاقاتها ومخططاتها ونفوذها في القارة السمراء. ومن هنا توصل النظام السياسي في إسرائيل إلى نتيجة مفادها أن اتفاق السلام الكامل بين إسرائيل والسودان لا يمكن توقيعه حتى انتهاء الصراع هناك، في وقت تعززت فيه المخاوف من إمكانية تجميد العلاقات وطي صفحة التطبيع بين البلدين، وفقا للموقع الإسرائيلي "والا" الإلكتروني. ويأتي ذلك بعد أن كان التقييم السابق يقول إنه حتى لو لم يتم الانتقال إلى الحكم المدني فسيكون من الممكن توقيع اتفاقية، وفقا لتقديرات سابقة لوزارة الخارجية الإسرائيلية. ولتدارك هذه المخاوف من إمكانية ترحيل التوقيع وسعي تل أبيب لتطويق الصراع في الخرطوم، حفاظا على مصالحها، زعم الموقع أن

ممثلي رئيس المجلس العسكري اللواء البرهان وخصمه اللواء حميدتي كانا على اتصال بإسرائيل في ظل تفجر الصراع، حيث حث المندوبون الإسرائيليون نظراءهم السودانيين على وقف التدهور العنيف وإعادة الهدوء.

في المقابل يعتقد الإعلامي الإسرائيلي يواف شتيرن المتخصص بالشؤون العربية والفلسطينية أن السودان كان موطئ قدم وبوابة مهمة لإسرائيل في القارة الأفريقية، حيث أسهم التطبيع وانضمام الخرطوم إلى الاتفاقيات الإبراهيمية في تعزيز تطلعات تل أبيب للتوغل في أفريقيا وتطبيع العلاقات مع دول كثيرة بالقارة السمراء. وعليه، فإن إسرائيل تخشى أن تتسبب المعارك الدائرة في السودان في تقويض العلاقات مع الخرطوم وطي صفحة التطبيع، والأهم قطع الطريق على تل أبيب في مواصلة مشاريعها ومخططاتها لتطبيع العلاقات مع مزيد من الدول الأفريقية، وهو ما سيكون له تداعيات على التبادل التجاري والاستثمارات التجارية والاقتصادية والمبيعات العسكرية الإسرائيلية في أفريقيا. ويضيف شتيرن انه "على مدى سنوات، استخدمت حماس السودان محطة عبور لتهريب ونقل أسلحة عالية الجودة إلى قطاع غزة من ليبيا وإيران"، وقد تعرضت قوافل مهربة للأسلحة الإيرانية والليبية من السودان إلى قطاع غزة للقصف من قبل سلاح الجو الإسرائيلي عدة مرات، بحسب مصادر أجنبية. وعزا شتيرن مخاوف إسرائيل إلى عودة عمليات نقل الأسلحة إلى حماس وفصائل المقاومة في قطاع غزة، وهواجس من إمكانية توسع النشاط الإيراني ونشاط حركة حماس في السودان. ويقدر أن تعزيز نفوذ إيران في السودان وكذلك فصائل المقاومة من شأنه أن يعيق إمكانية توقيع اتفاقية التطبيع. وأشار إلى أن السودان كان قد قطع علاقاته الرسمية مع إيران، وذلك ضمن التقارب ودفء العلاقات مع الولايات المتحدة وإسرائيل، حيث تحرك السودان منذ عام 2020 عمليات ضد المنظمات المسلحة، وفصائل المقاومة مثل حماس، وذلك تحت ذريعة "مكافحة الإرهاب."

من ناحية أخرى رأت صحيفة "غلوبس" الاقتصادية الاسرائيلية أن انضمام السودان إلى الاتفاقيات الإبراهيمية فتح الباب أمام الشركات والمستثمرين الإسرائيليين للدخول إلى السودان والاستثمار في القطاع الزراعي الذي ينظر إليه على أنه سلة الغذاء للقارة الأفريقية. والمورد الاقتصادي الرئيس في السودان هو الزراعة في حوض النيل الذي يمر بالسودان ومنها إلى مصر، حيث يلتقي النيلان الأبيض والأزرق، وعلى طول مجرى النهر من إثيوبيا وكينيا جنوبا إلى مصر توجد مساحات زراعية ضخمة، وهي المشاريع التي تقع تحت أنظار وأطماع الشركات الإسرائيلية. ومن المحتمل أن تكون المياه والتربة الخصبة التي تأتي من جبال إثيوبيا هي مخازن

الحبوب في أفريقيا لكن الحروب أضرّت بشدة بهذه الصناعة أيضا، وفقا للصحيفة الإسرائيلية. وبالتالي فوفقا للباحث الإسرائيلي بالشؤون الاقتصادية داني زكين، فإن المحاصيل الرئيسة في السودان هي الحبوب والقطن، وكذلك قطعان ضخمة من الماشية في المزارع وفي المناطق المفتوحة، حيث تعليق التطبيع سيعيق المشاريع والاستثمارات الإسرائيلية في السودان وحتى في أفريقيا. وأشار إلى أن الشركات الإسرائيلية تنظر إلى المجالات الأكثر تقدما من البرمجيات والتكنولوجيا الفائقة، لإدخالها إلى السودان الذي يمر في مرحلة أساسية للغاية من التقدم التكنولوجي. وربما يكون التطبيع أحد هذه الإمكانات الكبيرة للشركات الإسرائيلية لدخول السودان، ومن دون التطبيع ستكون مخططات الشركات الإسرائيلية مجرد حبر على ورق.

7 – خاتمة:

لقد مُنعت شعوب الأمتين العربية والاسلامية من تحقيق تطلّعاتها النبيلة نحو الاستقلال والحرية والنهضة والوحدة بسبب منظومة السيطرة الغربية الصهيونية المُطبقة على مقدراتها منذ بدايات القرن الماضي، والتي يحتلّ فيها الكيان الصهيوني موقعاً مركزياً منذ تأسيسه. لكن ما يزيد الأمر خطورة وسوءاً اليوم هو استماتة بعض الأنظمة الرجعية والنخب الفاسدة لبناء علاقات مع الكيان الغاصب، قد تصل إلى حدّ التحالف الاستراتيجي معه تزامناً مع جملة تطورات بالغة الخطورة شهدتها المنطقة في العقدين الاخيرين، كاندثار النظام الإقليمي العربي ومؤسّساته، وتحوّل عدد من دوله إلى دول متداعية فاشلة تحتدم فيها التناقضات والانقسامات والصراعات الداخلية. ولا شك في أن سلسلة الانتفاضات الشعبية التي انفجرت في الإقليم العربي بدءاً من سنة 2011، كانت نتاجاً لهذا الواقع المزري، بمعزل عن مآلاتها ومخرجاتها في مراحل لاحقة بفعل تضافر جملة من المؤثرات الداخلية والخارجية. واندثار النظام الإقليمي العربي، الذي تعود بداياته الى غزو العراق للكويت بتشجيع اميركي عام1990، قد تسارعت وتيرته في السنوات الاخيرة وهو افضى اليوم إلى إعادة تموضع استراتيجي لقسم كبير من دول الخليج، تَمثّلت اولاً في الاتجاه للتحالف العلني مع إسرائيل برعاية وتشجيع من اميركا. والتطور الثاني الشديد الخطورة في هذه الحقبة هو صراع الخيارات في البلدان التي شهدت انتفاضات وهبّات شعبية بسبب استفحال الأزمات الخانقة والمتعددة الأوجه بسبب فساد الأنظمة. وما جرى ويجري اليوم في السودان يقدّم مثالاً واضحاً عن انتهازية إسرائيل والولايات المتحدة، بمساعدة حلفائهما الخليجيين، من أجل

الدخول على خطّ صراع الخيارات المذكور، والسعي إلى ترجيح الأنسب لمصالحهما على حساب المطالب والتطلّعات الوطنية الأصيلة للشعب السوداني وسائر شعوب المنطقة. وفي مثل هذه الحال سنكون أمام سابقة قد تُوسّع عملية الاختراق الاسرائيلي، بغطاء أميركي وخليجي، للإقليم العربي برمته، لا تقتصر على البعد الجيوسياسي، بل تتعدّاه إلى الأبعاد الأمنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

بالنسبة للسودان بالذات نجد غياب القيادة التي تمتلك خطاً سياسياً تحررياً واضحاً يقرن التغيير الداخلي بمواجهة مساعي الهيمنة الأميركية وهجمة الاختراق الإسرائيلية المستجدة، مما يفتح نافذة فرص واسعة أمام مروحة من القوى، تضمّ أجنحة في النظم القائمة وقطاعات من النخب السياسية والثقافية وأتباع منظمات الارتزاق غير الحكومية في المجتمع المدني، لإنفاذ أجندتها المرتبطة بتلك الأميركية والإسرائيلية، في عدة بلدان يستعر فيها الصراع الداخلي، وليس في السودان لوحده. ومن أجل تسويغ هذه الخيارات وكسب التأييد الشعبي لها لإحراز النصر في معركة الأفكار، لجأ أنصارها إلى تغليف العلاقات مع إسرائيل بالتنمية، وبجذب الاستثمارات الأميركية والخليجية واكتساب التقانة والخبرة الإسرائيليتين. وبالتالي نحن هنا أمام استرجاع أكثر تطرّفاً لخطاب السادات الذي موه التسوية والخيانة بضرورات التنمية والانفتاح وتأمين لقمة العيش للمصريين، وغطى على النتائج الكارثية التي باتت الأمة بأكملها تعرفها وتعرف تداعياتها الكارثية الخبيثة والمذلة، مما يهدّد بتوسّع مدى الاختراق الاسرائيلي للمجال العربي إلى أبعد ممّا يظنه أو يتوقعه الكثيرون. وذلك على ضوء الآراء التي نسمعها جميعاً همساً أو بصوت مرتفع تدعو بكل وقاحة للتطبيع مع كيان الاحتلال الصهيوني في أكثر من بلد عربي. وقد كشفت صحيفة "إسرائيل اليوم" في تشرين الثاني 2017، وللمرة الأولى، عن تقرير حول رحلة مراسلها إلداد البيك إلى عمق الخرطوم ومشاهداته هناك. وقد عنونت الصحيفة حينها تقريرها بعنوان "السودان يتغير: مع إسرائيل.. وضد الإرهاب". وبعد نحو عامين على نشر ذلك التقرير، حانت الفرصة المناسبة لالبيك، كي يكتب مقالاً جديداً ولو مقتضباً في صحيفة "إسرائيل اليوم"، المقربة من نتنياهو، تحت عنوان "العلاقات مع السودان ستشكل تغييراً ذا دلالة استراتيجية في الشرق الأوسط وأفريقيا". ويضيف أن رسالة وصلته عبر التواصل الاجتماعي من أحد السودانيين الأصدقاء، في أعقاب لقاء نتنياهو – البرهان، يقول فيها : "للشعبين الكثير مما يكسبانه من التعاون في مجالات عديدة". ثم دعاه ليزور بلده مرةً أخرى!